كتاب
الليل
قصص - خواطر
خالد حميدة
2017

دار حفد للنشر الإلكتروني اللاورقي

©حقوق النشر محفوظة لدى دار حـفد للنشر الإلكتروني اللاورقي

©حقوق الملكية الفكرية محفوظة للكاتب:

خالد حميدة

©نشرت النسخة الإلكترونية الأولى في:

يناير، 2018

©رقم النسخة المسجل :

د ح/ 2018 / 1 – 23

يمنع النشر والنسخ والتعديل لأي من محتويات المادة المنشورة دون إذن مسبق من إدارة موقع دار حفد للنشر الإلكتروني اللاورقي .

كما تنوه الدار بأن محتويات هذه المادة، تعبر فحسب عن رأي كاتبها، ولا تسقط ضمن رأي الدار بما خط فيها.

قراءة ممتعة~

الإهداء:

من بحار الهوى ارتشف ومن النيران اقتبس حروفا تجاور النور وتوازي السعادة وتراني أهيم بها

أهدي عملي هذا إلى الأساتذة :

حنان بدران – فلسطين

أحمد طنطاوي – مصر

هنادي رضوان – مصر

سوزان اسماعيل – سوريا

زهرة خصخوصي – تونس

رماح هرموش – سوريا

عبير يحيى – سوريا

سامية البحري – تونس

وإلى معلمي الأول الأستاذ القدير: سمير حداد الذي ما ملّ من تزويدي بالنصائح والإرشادات .

خالد

تقديم

الحمدُ لله الذي هدانا إلى هذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله والصلاة والسلام على رسوله محمد الذي بعثه تعالى رحمة للعالمين .

وبعد: فقد كانت ساعة سعيدة أن يطلب الأخ خالد حميدة أن أطّلع على عمله هذا، ورغم أنه صديق أتابع ما يكتب باستمرار فكان عندي ذلك الحماس لأكتب له بكل هذه السعادة لأزفّ إليكم أحد أعماله والتي لن تكون الأخيرة بيقين بعثه ذلك الإصرار عنده على التحدي داخله ومن نوافذ واسعة يطلُّ علينا الكاتب أ. خالد حميدة بمجموعة من الخواطر التي لن أتكلم عنها لأنني من المقتنعين اقتناعاً تاماً لا يتزعزع بأن العلاقة بين العمل الأدبي والقارئ لا بد أن تكون علاقة مباشرة ،دون واسطة من كاتب آخر أو مترجم أو حتى المؤلف ذاته ،فلنترك القارئ يعيش العمل الإبداعي ويخرج منه بانفعالاته الخاصة وأفكاره الخاصة ،ويبقى تقييم أي عمل أدبي من اختصاص الناقد المتخصص ،وليست المقدمات والكلمات السابقة للنص .وكنتُ دائما أقول له أن الكلمة كالرصاصة أن أُطلقت لن تُردّ... أبداً ،وهي كالخطيئة لا يمكن محوها بعد أن يرتكب الأيام ذلك أن العمل الأدبي مخاضات ألم الكاتب يكتبها أول مرة تُكتب فتخرج من يده ،وعند النشر تخرج من يده مرتين سوى أنها تخرج إلى الأبد .

في الكتاب عشرين نصّ يتراوح بين الخاطرة والقصة القصيرة .نوافذ يفتحها لنا بأفقه ،وكلٌ الذي أستطيع أن أقوله حتى لا أحرق العمل بمقدمات أقول إلى كل الذين عشقوا الالتزام بالحرف وعشقوا البحث في العمق واللغة السليمة الخالية من الشوائب، إلى كل الباحثين عن العمل الرصين والذائقة الأدبية الملتزمة أهدى إليهم هذا العمل، وكذا إلى ذلك القارئ بالفعل الآتي والذي التزم الصمت ليدرك لحظات إنسانية الصدق المكثّف والخلّاق ،والغير مزيّف .

وختاما أقول مقولة اندرو تورنبول " حياة المبدع سلسلة مروعة من التعثّر والضياع ،ريثما يجد الفنان نفسه منكبا على أداء ما كان يمليه عليه لا وعيه طوال الوقت ". وهذا دأب الكتّاب أن يوصلوا الناس إلى مكامن الجمال بالحروف ويرسم الكلمات وهذا درب اليقين . أسأل الله أن يتقبل هذا الجهد وينفع كاتبه به .والحمد لله في البدء والختام .وصل الله على نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.

بقلم: حنان بدران

1

- **أنا وقلبي**

ومرّت الأعوام الستّ والعشرون من عمري. أحببتُ وكرِهتُ وكتبتُ كثيراً بك يا قلمي.

قلمي برفقتُك ولجتُ مدن الملائكة وسِرت في شوارعِها -أخذني بهاؤها. تراني أهيمُ من فرط النقاء وعظيم الصفاء، قدماي ما عادت مُلكي حينئذٍ، كمّ تمنت عيناي الخروج من محجريهما؟ لتروح وتنهل من فيض الأنوار وتعُبَّ من روائع الرؤى وإذ بالأحلام تتهادى أمامي منها ما هو عميق كالبحار أو أشد عمقا ومنها ما هو بسيط ورقيق كبيتِ العنكبوت. وعجبتُ أكثر العجب حين رأيتُ فئة من الأحلام تترقرق كالجداول وترقى في السماء حتى يبلغ الرقي منتهاه ، وانتهيتُ من مدن الأحلام والملائكة إلى الذكريات السود.

بك يا قلمي الأغرّ عشتُ أسود اللحظات يوما ما ضمّنا الحزن سوياً تحت جناحه وغشينا من الهمِّ ما غشينا وإذا بنا نرزح تحت أسى كالجبال عظيم تتكسر الآمال على سفوحه وهاتيك أمنيات تسأل بأي ذنبٍ قُتلت وتحولت ظِلال أشجار البؤس إلى أشباح تريد سرقة روحي مني فالعذابات حينها كانت تهفو إلي من كل جانب فأجانب البشر وأفرُ إلى قُدُس الصبر ومن وراءه الصبور تعالى في ملكوته.

واليوم يا قلمي – يا أيها الأنا – لقد توحدنا سوياً بعدما عشنا الأفراح والأتراح وأصبحنا روحاً لجسدين يا قلمي ويكأنكَ صرتَ مني، ويكأني صرتُ منك. لا بل أنت مني وأنا منك وإذ بالفؤاد يقطر دمع اليراع حين الفراق فإياكِ يا ذاتي والهجران للقلم فهو القلب من الروح.

****

2

- **أبناء الشمس**

يضجُّ الألم بالألم وتعبق في الرأس رائحة الذكريات.

ذكريات الشارع العتيق والحلم الطليق، حينما كُنّا نلهو بين الياسمين فيُزيّنُنا بياضه الساحر ونغرق في الهناء. كل الهناء. ما ألذّها من أوقات قضيتها في رحابك يا شام، طلبوا مني أن أرفق صورة بنصّي وهل تتسع الصور لجمالك يا جنّة الألباب!

وإذ بي أعود لحروفي فهي أبلغُ من أي صور - ولن تكفي الحروف . لكن يكفني اسم في المحاولة له شرف. أوَ ليست عديد المحاولات تصنع المستحيل .

في الشام عرفتُ جمالية الحياة وأبصرتُ عذوبة الآمال وزخرفِها ورأيتُ كل شيء بهيج، تُراني أصفُّ الحروف فوق الحروف كرمى لحسنها الفاتن وبهائها الماجن وإذ كلماتي مترعة بالعطور وتكللها الزهور .

أما اليوم فَغدتْ الشام موطن البؤس بها يزهر الموت كل حين ويعلو أنينٌ فوق أنين وحطامٌ فوق حطام وإذ بي ساهما ما من مآذن قد كُسّرت ولا من كنائس قد خُرّبت إنما من أحلامٍ اغتصِبت بجهل حاقد وبحقد جاهل .

مهلكِ يا شام

مهلكِ يا شام

ما غرُبت شمس الأمل وسيزهر الياسمين وسنسمو شرفا وسنزهو مجدا فنحن أبناء هذه الجنّة ، نحن أبناء الشام.

****

3

- **أيام وثيرة**

على حين سهوٍ فقدَ بعض سنيّ عمره، وما تنبّه لذاته إلّا وهي في جوف صومعة ألم يتوسّد عتباتها وتأكلُ أرَضَتها من جسده، طائرُ الأمل أتى لزيارته فأوجس الرجلُ منه خيفة لولا أن رأى برهان خلاصه فانتشله الطائر من لجّة التيه إلى رحاب الحياة وتفتّحت شغاف الفؤاد وعبَّ من النسيم العليل، سوى أن روحه الملطخة بألف لون من ألوان الوجع عادت لتعتلّ لثانيةٍ فدقيقة فساعة فيوم فسنة فدهرا، وطفق يلوك ألماً كالعلقم أو أشدّ مرارة.

أزهى الزهور وروح وريحان والمزيد المزيد من الهناء، ذرى ذرّات الندم الأخير، وما أحلى الأيام حين تحلّ فيها البركة، فصار ينجز في الواحد منها ما يحتاج لخمسين وأيضا بدل أن يسرق منها بعض برهات فرح صار يهبها بسمه الفيّاض وسروره الوافر، نال ذاك النعيم حين زاره رسول الرحيم قادماً من ملكوت السماء وأبدل سعيه في دار الفناء إلى عملٍ خالدٍ في دار البقاء.

****

4

- **حديثُ الروح**

يا أيتها الروح آن لهذه الدُنى أن تخجل من ذاتها بعدما فرضتْ عليكِ عمراً بعد عمر ودهراً بعد دهر متاهاتٍ يتوه الخَلقُ في رحابها وتختنق الأفئدة بها على اتساعها فما أبشعها من متاهات بها من السُبُل أسوأها ومن الدروب أظلمها وهاتيك نفسٌ كالصلصال أو أشدّ رخاوة تحتّها ريح الأيام والظروف كيفما تشاء لتغدو نفسٌ أسيرةٌ للذّات والشهوات، وبالقرب منّا بل وفينا عواطف تغتال صفاءنا العتيق ونحن في كل سبيل سعينا شتّى ويلوّح بنا التاريخ أو نلوح به الأمرُ سيان، وآه وألف آه ما أشنع الندم حين يلوك قلوبنا ويزدرد أنّاتنا وما لنا إلا صاحب السماء الساكن فينا ليل نهار، ورغم أن ما حولنا من الفقد بحار وبحار وبحار وحين أوشك العقلُ أن يسبر أغوار هاتيكَ البحار اجتاحه الذهول وكاد يحار.

****

5

- **رمضان**

تهفو الروح لمجيئه لم لا وفيه يتصل الأصلُ بالفروع، آه لو كانت كل الشهور رمضان، تفيضُ الرحمات ويهلل الغفران وأولئك شياطين مردة كانوا يُوصدون، آه لو أن الأعمار كلها صيام لكانت الملائكة تسري فيما بيننا لولا أن رحمة ربي أوسع من أوسع شيء فعلِمَ أن هناك من لا قدرة له فجعل من السنة ثلاثين يوماً موسماً للرحمة – واسمه الرحيم – وللمغفرة – ومن يغفر الذنوب إلا هو – وللنجاة من النيران وهاتيك ليالٍ يطيب فيها السهر ما بين تلاوة وصلاة وللسجود أطيب الذِكرِ، تُلامسُ الجباه الثرى والقلوب تطرق أبواب الثريا فطوبى لمن أدّى لرمضان حقّه.

****

6

- فقدُ

تدور الأيام والحب يكبُر بين سامح وعليا، بيد أن الأقدار أبت أن يجتمعا حلالاً فاجتمعا سفاحاً وانزويا تحت لواء الرذيلة، يمارسان الحب كما يحلو لهما، كانت تحسبه وطناً ويحسبها جنّة فإذا به وحلاً وإذا بها فتنة، وسرب بينهما الخصام في عديد المرّات وحينما يستبد بهما الشوق كانا يرغِما نفسيهما على الوصال – كلّما عبّت من وحوله وجدت عنده زلقا في أعماق سحيقة في قاع الخطيئة – وأفلَ أوج العواطف وغابت عنهما لذّة الوداد، فاح خبرُ الذنبِ بين الناس وراحت الألسن تُحيك القصص والحكايا عن العاشِقين الغارِقين في الضلال.

ومدّ القدر يد العون للآثِمين بعدما تناولا الخبز الحرام والطعام الأثيم وبعدما نهلا من معين الحب سرّا حيث تهيأت الظروف لضمهما برابط الزواج المقدّس على أعين الناس المترعة باللوم ولاح بعد حين جنينٌ في جوف العاشقة وقد مضى على مكوثه خمسة أشهر ولم يمضِ على زواجهما سوى خمسة أسابيع وتناقلت الخبر أعين النسوة، هل الطفل شرعي؟ تتساءلُ مراقبات.

****

7

- ضال

أسوارٌ عظيمة وأسرارٌ عميقة لحزنه الغالي في طيّات صدره، كلّما حاول التخلص من أساه عاجله وهنٌ مقيم خاصة بعدما أُجبرَ ذات بؤسٍ على الرحيل عن وطنه، ومن حينها وهو صريعُ الأيام، يتقاذفه الحِمام من كل جانب وما هو بميّت.

ذات عسل – هكذا أحس الحلاوة بروحه – نزلت به فتاة الغوى إلى قاع الرذيلة، ونهل من رفث الحياة، وما نهى النفس عن الهوى، واستجدى الهناء في اللاهناء، وطاب له المكوث قرب قُرَب المتعة الزائلة فاستوطن في الدونِ ورضي أن يكون وليّا لغريزته وشيطانه.

في لجّة الليل المعطّر بالفحش زاره طيف الصفاء وراح الطيفُ ينزع عن روح الرجل وجسده أدران الخُبثِ وينقيه كما يُنقّى الثوب الأبيض من الدنس وجلى عنه تلال الآهات المتراكمة – رغم أن الرجل ما باح بها، بل لاذ بألم الصمت ليضيفه إلى قائمة شقائه – فتفتحت أزهار فؤاد الرجلِ العليل وتجلى قلبه مرآة أمام عيناه فخاطبه: ويح قلبٍ هوى في الهوى، استمالته النسوة فإليهن أوى، وفيه أكثرُ الأشياء إيلاماً حوى، فما ارتوى من حياة وما روى، وآخر الأمر لا بد إلّا وأن يُلفظ كما النوى، ومهما نال منهن وأكل فلن يجد سوى الجوى، يا فؤادي لا تسل أين عذري الهوى كان صرحا من خيال فهوى.

ولاحت في بعيد الأفق فراشات بعدما أنهى الطيف زيارته وعمله، واقتربتِ الفراشات لترتق روح الرجل وترتقي به إلى أعلى الأعلى سوى أن بدنه الغارق في الشهوات زرع فيه التكاسل وذرى حوله مزيدا ومزيداً من الهناء الكاذب والأمل الآفك فانتشت أعضاء جسد الرجل بذاك الغيث وما عرفت من البهاء إلّا أماني وملأهم خداع المنى وأسربة الأوهام.

ورحل عنه طيف النقاء وفراشاته تحدثه: لا تأسَ على قومٍ غرقى في الضلال إن هم إلّا يخرصون.

****

8

- **فؤادي**

ها هي ذي حروفي تتمطّى لتنثر غبار الملل لكن قبلاً يعودُ لذاكرتي ذاك المساء حين كنتُ أقبع على سطح الزمان ألتقم الحرمان وبقربي نسيان يعبثُ بي، يجيء ولا يجيء، ولأن الأمل ناموسي أعضُّ على النسيان وأُرغمه على البقاء فيزهِرُ نيسان وتفوح الأفراح لتسمو فوق الأتراح.

وإذ بي أفتحُ حسابي فيما يُسمّى " فيس بوك " فأجدُ على جداري رواياتٍ مجزوءة في كل نصّ حياة وتميس الروح زهواً حين يدنو من حيواتي بعض المستكشفين ويمرّوا دون أن يمرّوا.

وتراودني بعضِ الصور عن نفسي لأخط عنها وبها ولها لكن أنّى للصور أن تختزل حيواتي وأكواني وعوالمي، يا أيتها الألوان إليكِ عنّي حروفا تجزّ الفؤاد وأخرى تلوّن حبّات المطر من فرط الهناء، أنتِ التي لوّنتِ الحياة بتفاصيلكِ وتداخُلِكِ وإذ بكِ عاجزةٌ عن سبر أغوار حروفي وخلجاتها، وذات زمن صدح فؤادي ليس كمثلي شيء.

****

9

- **الليل**

يا أيها الليل عهدتُكَ مرتعاً للأحلام وموئلاً للآمال، فيك تتماهى عذابات العشاق وكذا تلمع النجمات في سماءك فإذا بالأفكار تومض في الرؤوس.

أيها الليل بك من السِحْر أشهاه وذاك ما يغري الأقلام لتجود وتجود وما حجم تغنّي الكتّاب بك إلّا خير برهان على ذلك وفي السَحَر يفور النور قُرب ربٍّ غفور.

يا حلو الستائر... وإني لأخط كلماتي واليراعُ مني حائر لعظيم البهاء والصفاء أما يكفي أنك تحوي ترنيمات العذارى ورفث السُكارى وآهات الحيارى، حدّثته نفسه: أما اكتفيتَ من نجوى الليل فردَّ عليها: وما يدريكِ لعل الله يُحدِثُ بعد ذلك أمرا، من بين خفقات يراعه وفؤاده تجلت صورة الفتاة التي أحب والتي ظلم.

من فجر الحب الذي انضويا تحت لواءه وهي آيةٌ في العطاء حتى فاقت عشتار القدامى وكان عطائها كامل بدون نقصان فما ملّت تجود بأعذب الكلمات وأرقها ويسبق حُسن لفظها سخاءها، وهو اعتراه الحرمان قبل التعرف إليها لكنه حين عرفها غرف من منهلها دون ارتواء ورويّة.

قدرُها في الحياة أنّها معشوقة الكلمات فصارت ضمن فئة الكتّاب وميّزتها روحها في الكتابة عن بقية الكتاب وراحت تكتب له أحلى رسائل الغرام على ورق الورد وتنقلها إليه نسمات العبير فتصله كلماتها مُعطّرَة بروحها، حدث ذات مرّة أن كتبت له نصاً على وجه القمر فتضوع الأخير عطراً يفوق كل طِيب، أما هو فبدد الحب - الذي لفّ شغاف قلبه - مرارة الفقر التي اعتادها، وسما بوداده فوق كل سماء حتى جاور النجمات العُلا، وهناك وصله أحد نصوص الحبيبة فقرأه على عجل وما لبث أن رتله ترتيلاً على مسمعٍ من النجوم وإذ بهن يفضن لِمعاناً وألقاً ما من كِبر الحب وعظمته بل خفراً وإذ ذاك بعض النجمات فاضت أعينهن بالدمع من هول البهاء وراحت تزهو سمواً وتسمو زهواً.

وكان الحدث العظيم حين ضمّت حلقة ذهبية قلبيهما وروحهما تمهيداً لارتباط أزلي، حينئذٍ كانت بشائر الفرح تنضح من مآقيهما وهناك أطيار تشدو بألحان عذبة وجوقة من الأماني تهفو في الأرجاء وهاهنا يربض أمل مقيم بالغد المشرق، وتداخلت الأرواح في بوتقة الحب الملائكي حتى أنه تعلم منها بث الروح في الحروف وتعلّمت منه الترنيم بجوار النجوم، وراح يتعاظم بينهما الحب حتى فاق كل التعابير وخرّت الحروف دونه سكارى وما هي بسكارى ولكن جمال الود عظيم.

في أحد لقاءاتهما تلا عليها بعض أراجيزه فإذ بها ثملة من صفاء بوحه ولذة أسلوبه وتسامى عشق الكلمات فيها فردّت عليه وإذ بثغرها يفيض الدُر والياقوت والمرجان فهما لحقّ النديمان فقد بلغا من الوله أعلى مرتبة وبدأ السقوط المدوّي.

الكلمات كالموج يمكنك ضبطها لفترة لكن لا يمكنك السيطرة عليها، وهذا ما حصل فقد أخذ أحد النصوص جُل وقتها وطال عليه الوقت حتى غدا تحدٍ شخصي بالنسبة لها وثارت جميع الحروف لتتحد سوياً مع النص المستعصي وتوالت الأيام والنصوص تزداد تعنتاً وتجبراً، والعاشق الولهان يتقلب على أكف الانتظار، يتجرع وحيداً قساوة السهر وتزدريه بين حين وآخر حرّات العِبَرْ.

على حين استحياءٍ جاءه السوء – ولا يحيط المكر السيء الا باهله – ونفث فيه سموم الظنون فانشرح صدره للوساوس وحاقت به الضغينة من كُلِ جانب إلى أن طاوعته نفسه فاجترح إثماً مبيناً وافترى عليها الإفك العظيم طعناً في براءتها واستبد برأيه وتجبّر.

وعادت إليه منتشية بانتصارها دافعها الشوق ويسوقها الحنين للحبيب البهي تؤزها الأماني ويحوطها الأمل، وفورِ التقاءها به لاحظت جفاف في صوته وقسوة في قسماته وحين باح لها بمكنونات صدره انفجرت من مآقيها أنهار الدماء فعوضاً عن التهنئة المنتظرة ابتدرها زورا وبهتانا.

غادرته والقلب منها يهذي من عصف الألم، تتهاوى عواطفها واحدة تلو أخرى من هول الأسى، والروح يغشاها الوجع وذاك حُزن خرّ باكياً لأجلها، وحمائم السلام ركنت تنتحب وأزهار الدرب علا عويلها حتى إن السماء امطرت واختلط دمعهما فغمرت وحول الأسى أيامها فما لمع منها أمل وحل عليها الليل وفيه صارت تناجي الكلمات وكتبت:

يا أيها الليل السقيم عهدتُكَ مرتعاً للأحلام وموئلاً للآمال فإذا بك حيّزا للمرارة وملجأً للآلام، فيك تلمع النجمات لتومض الأفكار في الرؤوس لكن النجمات علة بريقها هي الدموع التي غطت وجهها فتومض في أحزان فوق أحزان فوق أحزان، قالوا عنك أنك جامع العذارى والسُكارى والحيارى فماذا يصنع الذين يأكل الألم أكبادهم وتنفطر الأفئدة بؤسا في بؤس حتى تفيض الأرواح.

وتقطعت أواصِر الود وحلّت مكانها حبال البغض، هي تكابد الألم كلما زارها أمل وتستجدي النسيان علّه يقيم فيها، وهو راح يهجو الحب بأفحش القول ولما دارت الأيام وانكشفت له خطيئته اعتصر فؤاده الندم وحجّت إليه عواصف الوحدة وأتت عليه حتى جعلته كالرميم، وعبثا كانت محاولته حينما أراد مصالحتها فردّته خائباً ومن يومها صار خليلاً لليالي يناجي الذكريات وتؤمه الدمعات فغسلت دموعه فقره واغتنى ببؤسه وأمسى نديماً للهوان

وأزهق روحه بعدما كتب بدمه: أنا المشتاق الذي لا ينسى.

****

10

- **قوة حب**

بين زوجين ريح الخلاف هبّت فهبت تشتكي لأمها : عذّبتني قيوده ، أنهكني أسره باسم الحب وأشياء أخرى ؛ ما أقساه حين يتكلم عن الحب . يحدثني كل يوم عن حبه وعشقه لي . كلماته تحطم قلبي تحرق آمالي ما عدت أحبه يا أماه. حدث مرة أن ضمني بشدة أملاً منه تأجيج المودة ونور الهيام لكن ما علن أن عناقه لي قد كسر ضلوعي وجعل روحي تتوق للخروج من جسدي لشدة ما احتملت من عذاب ، يحسبني أمه ولا يعلم أن قربه يقتلني . من فترة وجيزة كنا عاشقين يحلو الحب بيننا وننفق فيه الساعات والأيام أما وقد حل ما حل به من نفاق ودجل فقد صار يكذب اكثر من تناوله للطعام . أصبحت أكرهه وأمسيت أمقته .

شاب حليم ليس كالبقية من الشباب الطائش أراد أن يكون الاستقرار منهجه فأتخذ الصدق نهجا له وهذا ما اكسبه ثقة الجميع وزاد من طلب أمه المُلحّ بخصوص الزواج ولأن الأقدار تتماشى أحياناً مع رغبة الأمهات فقد أرسلت إليه الأقدار إحداهن – تمشي على استحياء – كان ذلك في أحد الأيام . فما انفكّ قلبه أن هام بها وما طفق يغني تراتيل الغرام بعدما نال من الهوى خير منال ولأن القدر تدخل وتمم ما أرادته الأم الرؤوم فقد تمت مراسم الزواج على عجل ودون قيود .

بعد الزواج كان الاثنان خير مثل للعشّاق ، فتيل الحب الذي ولد بينهما صار يزداد شعاعا ونورا كلما طال عليه الأمد ونال الشاب ما يصبو إليه من استقرار في العمل وزوجة عاشقة ومخلصة . ولأن دوام الحال من المحال فقد آثر الزوج التغيير على الروتين الرتيب الممل فدخل في صفقة إما أن تسمو به فوق السحب أو تهوي به في وادٍ سحيق . وا أسفاه نال الخسارة وفقد ما جناه خلال فترة عمله فاستدان ليصلح ما أفسد سوى أن أموره راحت تزداد سوادا وجثم الفقر فوق صدره يكسر عظامه ويسحق فؤاده . صارت أيامه مكللة بالبؤس لدرجة أن الخلافات وجدت سبيلا إلى أسرته الصغيرة تجلى ذلك بالكذب الذي اتخذه رداء ليخفي سوء ما نزل به من فاقة فطفقت زوجته من إفكه وتركت له البيت هائما ببؤسه وأساه .

ناجى الإله : دنيا مُتعبِة غَرِقتُ في بحورها وما بي صبر على إغراءها المتواصل ؛ ما كان لي حلم سوى الاستقرار بعيدا عن بنات الدهر فلا خير فيهن ؛ رصين ابتعد عن اللهو والعبث ولما راهن على النجاح أردته المغامرة في ظلمة لا قرار لها وتلك الأيام لا أدري أنتداولها أم تتداولنا . بالأمس القريب كنتُ أرقد قرير العين وها أنا الآن بي سقم يوجع الروح وتلك المحبوبة التي هجرتني عند أول محنة آه كم أحبها !!!!!

أعشق الثرى الذي تطؤه قدماها ؛ على عجل غرقتُ في غرامها حتى ما بدا مني سوى عاشق عتيق مرت عليه السنين ، حد الموت أحببتها ، أحببتها للحياة وللأمل وللحلم كانت لي موئلا وسكنا ، أحببتها حتى مل الحب ، أحببتها كما يريد الحب أن يكون . كانت لي كما احلم بحواء وأكثر ؛ جعلتها قبلتي ، نبراس روحي وها أنا ذا خائب مكسور الجناح ، بي وجد لا يدري به إلّاك ، فقير العقل يأتيه الفقر من كل جانب حنانيك يا الله .

صبابة إلى الأمان تجتاحني ... من مناجاته أخرجه صوت الباب يقرع كان الطارق أبُ الزوجة وهي على يمينه يغشاها خجل . في مكان بعيد عن المدينة أودع الأب الزوجان في ركن قصي .

- ما كان ينبغي أن افعل ما فعلت لقد طغى عليّ الغضب الأنثوي وكرهت كذبك حينما تأكدت منه .

لدى سماعه لكلماتها غافلته دمعتان وفرت من مآقيه ، أكملت حديثها وفيه آيات الاعتذار والندم والحياء واستمرت دموع عينيه بالتساقط كما أمطار الربيع غزيرة . ختمت بطلبها الصفح . استفتح ببيان سبب كذبه عليها وقص عليها القصص وأخبرها عن أحلامه المغتالة وختم بأصدق العهود وأقسم بأنه لن يبخل في تقديم عينيه لها إن احتاجت لهما .

تعانقا وسرى بهم الوداد إلى القمر وإلى ما بعد القمر ومن هناك صارا نجماً يومض النور والسرور ينهل منه العشاق حبهم وبريقهم .

****

11

- **نجوى**

على قلبي وضعتُ يداً ونحوكِ قد مددتُ يداً، سرى ليلي بغير هدى وتختزلُ سماواته بحار الأسى، تطوف بي الذاكرة لتعود إلي فواتح حبّنا حين كنتُ أُهمل الحب وأنتِ تَدَّعّينه بأيام العمل فأبى القدرُ إلّا وأن يضعنا تحت عرش الوداد لنخِرّ ثمِلين والغرام ينضح من فؤادينا، وإذ بنا اليوم نفترق وكُلٌّ منّا يصبو الإياب، ها أنا ذا أناجي ورقتي – مرآة قلبي وملاذي الأخير – وأخط عليها كلمات ليست كالكلمات واكتب: سويعاتٌ وسويعات وسويعات هي ما بقي لي منكِ، بها من الوله أحلاه ومن الغرام أشهاه يا درّتي العطِرة، أيا جنتي النضرة رحماكِ والرجوع، أنهكتني الدموع.

فجأة تحولت كلماتي إلى سحابٍ ثقال وتقاربت فيما بينها وأمطرتِ الأمل في فؤادي وعلا هزيم الرعد، في سنا البرق قرأت عينيّ آية فحواها أن القدر الذي تدخل ليجمعنا سابقاً سيعاوِد الكرّة ويلُمَّ شمل قلبينا من جديد لننثر الخصام في مهب الريح ونعود سيرتنا الأولى ينزوي العشق منّا خفراً، فكفى للحب فخراً أن ضم هيامنا بجناحيه.

12

- **روح العيد**

وفتيةٌ ركبوا التاريخ ليبحثوا عن فرح، وسيلتهم حُمُرٌ مستنفرة تحمل آمالهم وأجسادهم البضّة، واحسرتاه ! لقد وجدوا العيد مقتولاً وبجواره قصاصة كُتب عليها قد اغتيل ببندقية صدئة وفرّ السرور إلى حيث ترقد النجوم المتقاعدة.

أوسطهم طريقة رثى العيد قائلاً: للعيد طعمُ العسل قُرب قبر فقيدنا الفرح، وأيضا ضحكات العيد استغاثات تحت أنقاض ذواتنا، وهاتيك عبراتٌ تجثو في هالته لولا الدمار، دماء غرقى في دماء في لجّة الفقد الشنيع، ألوان أسىً تعبثُ قربي في جو السماء، سبا فؤادي عذاب الغياب فوقع حطاماً يتبعه حطام.

فجأةً ظهرت فتاة في الأفق القريب وراحت تنشُد:

يا رفاقي ودّعوا ريح الغياب واستقبلوا ريح الأعياد

هو الفرح باقٍ فينا طوال الأزل وحتى الآباد

سوى أن نجمه يأفل إن لم نجعل العبيد أسياد

هبّوا، هلمّوا لنستشعر الفرح ونكون نحن الأعياد

حين نزرع المحبة فيما بيننا وننزع كل خُلُقٍ فسّاد

وبالمحبة والصدق والوفاء يطيب الإنشاد وتحلو الأعياد

****

13

- **هيا بنا ننتحر**

ألقت عليه ألم الهجر وراحت تطلب الحياة الباذخة وتركته يلملم ذراته التي بعثرها رحيلها المفاجئ، راح يقبض أكفه عساها تمسك ببعض روحه التي انهالت منه كشلال وراحت خلفها ترجوها الإياب ولأن المادة تدوس العواطف أبت الراحلة رجاء روحه واستعطافها بل وردّتها إليه حزينة منكسرة يغشاها بؤس عظيم.

وتصاعدت إلى رأسه آلاف الذكريات المكللة بالبسمات، بسمات الألم، كما أن للفرح دمعات فإن ضحكات عظيمة تردف هول الألم، واختلط ضحكه وعويله حتى تحولا زعيقاً مزعجاً ينثر سكون الليل واجتمع عليه أهل الجوار ليستطلعوا سبب ضحكه الباكي وبكائه الضاحك واجمعوا على أن عقله هجره قبل زوجه وسعوا في خلاصه بإيداعه مصحّاً نفسياً يُعيد إليه العقل ويوقظه إن غفا، وازداد شقاءه شقاء حين هجره المرضى في المصح.

وتتالت الأيام ثقيلة متشابهة يكويها بألمه وتقتات من جسده وتجعدت بشرته وبسمته وما انفك يلعن ويسب المال وذويه، ولّما آثر الموت على الحياة الدنيا أمسكت بيديه فتاةٌ في عمر الصبا ما رآها وما عرفها قبلاً وأنكر عليها اقتحامها الهمجي لخصوصيته وارتقيا من براثن الموت إلى مقعد الحديقة وقالت: أبي يجب أن تعرف أن أمي كانت تحبك كثيرا، كثيرا وشعرتُ في أتقلبُ بأحشائها ولّما كانت محيطة علما بفقرك المدقع وعدم تحملك لنفقات الحمل والولادة آثرت التوجه إلى بيت جدي والمكوث عنده لحين الولادة وطوال فترة حملها بي كانت تناجي الله أن يرزقك أطيب الحلال وأن مرامها العودة إلى حضنك – هكذا أخبرتني جدّتي – لكن تعاكست رغبتها ومشيئة القدر فقد فاضت روحها وأنا في طور الخروج للحياة واستفحلت ظنون السوء لعدم درايتهما بنوايا فلذة كبدهما وتأججت الظنون بصدر جدي وجدتي وظنّا أنك تعمدت إرسال ابنتهما إليهما، ومرت أيام وأيام وأنا لا اعرف ابنة من أكون وحرت في أمري كيف لشخصين في خريف العمر أن ينجبا زهرة مثلي. البارحة كان الحدث العظيم حيث زارتني أمي في الحلم وقصت عليّ أحلامها التي اكتنزتها في جوفها وحدثتني عن عظيم الوداد الذي جمع قلبيكما وختاما حددت لي المكان الذي أجدك فيه وقالت أن هدفها ليس المال والبذخ إنما الغنى هو الرضا بنصيبك من هذه الحياة وختمت أنها ترجو عفوك وتخشى سخطك، وها أنا ذا امثل بين يديك حضرة البابا.

- يا ابنتي ما زلت مصمم على الانتحار لكن بمضمون مختلف، سأزهق أرواح الذكريات البائسة التي عشتها بعد رحيل أمك.

هتفت الفتاة هيا بنا ننتحر!

****

14

- **وجد**

أحلى الأحلام رسمتها وأنا متلهف قدومكِ، آيات الشوق حملتني على أكف السهر وإذ بي أصبو اللقاء ويملأ قلبي الرجاء، تُراني أهيم من فرط المنى أبعثر النجمات وأعيدُ تلوينها لتناسب أحلامنا التي نسجناها معا- رغم مرارة الواقع- وهاتيك غيمات سكارى وما هي بسكارى ولكن هول الشوق شديد وإذا بكِ قادمة ذات أصيل.

جئتني لا لوصلٍ، بل لتودعي في أساكِ وتعبّي فرحي وأضرمتِ النار لتحل الفواجع والكوارث لاحقاً.

****

15

- **وحيدة**

أمل وأمل وأمل...

تغوص تعابير الأسى ويرقى الأمل فوق الأمل، هذا حالها مُذ كانت في العهود الأولى، نظرتها الحالمة قطعت الطريق عن اليأس فما وصلها بيد أن أحزانها العتيقة ما فتئت تثير فيها اللواعج، فقد شاءت الأقدار أن تبقى وحيدة لأبويها وقد اقترنت صفة الوحدة بها من خلال اسمها. واختصرت وحيدة أحلامها في أختٍ تشاركها تفاصيل حياتها اليومية من فرح وترح ، وترفع معها ثقل الأيام. من فرط الوحدة راحت تهذي بالألم المفعم بالأمل لكن أي أمل وأبواها بلغا من الكبر عتيا.

حجّت إليها ذكريات الطفولة المعذبة حينما كانت تستجدي في الدمى روحاً تهمس لها بحب لكن هيهات هيهات فالوحدة شرابها وطعامها وملبسها ومنامها. وإذ بالستائر المسدلة على الجدران ترسم صوراً لشخوص رسمتهم في مخيلتها كإخوة وأخوات، من خضم معاناتها المتشعبة العصية على الزوال ومض المنى من خلال منى الجارة الجديدة.

منى لها من الإخوة ثلاث ذكور وكونها وحيدة بين إخوتها توطدت أواصر الألفة مع وحيدة – هما في نفس السن – ونشأت بينهما أسرار البنات وتمضي الأيام وتتعمق العلاقة بين الفتاتين، وحيدة أينعت برأسها المشاريع العِظام لهتك الستار الذي كونته عن الشبان ومنى تزداد بساطتها وعذوبتها كلما كبُرت.

في إحدى جلساتهما اتفقتا على الخروج في نزهة وكان لهما ذلك في أحد الأيام المشمسة ولما دلفتا إلى الجنة المجاورة لمنزليهما صادفهما أحد الشبان، تبادلوا النظرات فتزاوجت نظراتهم، خلوا ببعضهم ونزعت وحيدة الستار عما تخيلته فارساً يحقق الحلم وسرعان ما تبدلت بسمة الشاب إلى خبث فاضح فهمّ بهما وفتك بمنى بينما ولّت وحيدة فارّة.

رجعت منى تجر الشقاء، من عينيها ينضح الألم من الألم، ما لها إلا الله، يفور الأسى من أساها، يفوح من روحها الوجع. منكسرة خائفة اعتصر فؤادها البؤس فتجرعت مرارة ما بعدها مرارة، ينضح من أملها ألم وألم وألم .....وأوار لهيب الحنق يفيض من صدرها.

عادت والعذاب ينضح من كبدها، أسمال العذاب غطتها من كل جانب، فقدت ذاتها بسبب جماح جارتها الوحيدة وبعدها صارت تطوف في أحضان الأسى والرجال بسبب تبرأ أهلها منها وهجر المجتمع لها.

من نافذة العذاب تلقي نظرات حيرى ترنو للأمل الهارب وما لها من خلاص.

****

16

- **بوح**

رعشة حبور تنتابني بعدما أنهي كتابة شوقي إليكِ وبأي شيء اكتب؟ بمداد الفؤاد على جُدُرِ الزمن وهاتيك عبرات تطفو مع كل حسرة أرزح تحتها لولا كلماتي – نافذتي على الحياة – التي يحدوني الأمل أن تصلكِ – أصلّي لتصلك – وإذ بي اقفو ما لي به علم علّي استقي وارتقي لوصلك ببوح منمق يليق بحلاكِ وبعد ذاك حلمي يغفو بحلم أنكِ قربه وأنّا بلدُن حبٍ عظيم.

****

17

- **إمعان**

ها هي روحي تذوب وجعاً وفرحي صغيرٌ يحبو فيدوسه بؤسي، تتالى الأيام وما زال وجعي ينمو حتى بانت ملامحه في نبضي وبوحي، الألم شعور يجعلكِ تتنشقين الآه وتزفرين زفراتٍ حرّة تُبكي البكاء وتُدمع القلوب، شعورٌ يجعل الحزن ينتحب مرارة وذاك بؤس أسود حجب شمسي ، ألوذ بصمتٍ يبدد الأسى فيعود الأخير عليّ كريحٍ ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب، ريحٌ لا تأتي على شيء إلا جعلته كالرميم.

وداعا يا حبيباتي وداعا.. أنا متعبة والعين تحتاج لغمضٍ وإذ بي انثر المداد فوق المداد واستنزف الفؤاد تلو الفؤاد ليروح عني ما بي من قهر فلا أجني إلا شهقات الندم. .. هكذا ناجت صويحباتها بعدما تلت عيناها على ورقة النتائج رسوبها في الامتحان الفصلي.

****

18

- **دعوة**

كما البحر عميق هو ذاك الأسى يقبع في الفؤاد ويستنزف المداد تلو المداد وماله من نفاد، تتوالى إلينا المصائب تترى وكل عُمرنا وتِرا نركن للألم دهورا وفرحنا فِترة، نسلو بالأقلام علّها ترفع عنّا الألم العظيم ونلتصق بالأمل علّه يوقظ فينا الفرح القديم، تتراءى لنا الذكريات صور فتخنِقنا حرّاتُ العِبر، نمضي ونمضي دون رجوع وعيوننا غارقة في بحار الدموع، نتحايل على البؤس بالمُنى ويطيب لنا الشجن وما يعرف إلينا الفرح سبيلا ونصبر صبرا جميلا. يسمو الفرح فوق فرح وتتالى الأهازيج وتنمو البسمات في الثغور وهذا نجم الأمل يدور ويدور وتصبح دقائق الألم ساعات للهناء الخالد والغد الواعد وهاتيك زهور تتمايل من عطر منها نضح وعبقها في الفضاء سنح ويأتي إلينا الأمل ليطلب مِنّا أملا، ويغدو الماضي البهيج حاضرا ومستقبلا وذاك شحرور القلب ارتقى في السماء نشوةً وعلا، هكذا ينقلب الألم أملا والبؤس بهجة حين نقترب منه، لنقترب من الله ثمة حياة جميلة لا نراها ونحن في البعيد.

****

19

- شروق الغروب

غربات ثلاث تقبع بها روحي، فيها أبحث عن الأنا وما لي للخلاص سبيل، أناجي الوجع ليحلّ بي – وللذل عذاب – يا ويلتي ها أنا ذا أستجدي الألم ليزورني وما سبب ذاك إلا لأن ما بي أعظم من كل ألم وأفتك من أي شقاء.
ما بال الوهن سرب إليّ في ليلة ظلماء فسكنتِ العتمة فؤادي وأضحت دمائي سوداء ما من ألم عظيم بل من أمل سقيم أقبّل يداه حتى يزورني. متوكئاً عصاه توجه نحوي الأمل لكن الغربة أخبرتني أنها عثرت به وتكسرت عصاه واستحال وصوله إلي.
وهاتيك الأيام تمضي مثقلة مترنحة لحزن عيناي، تُراني أهيم من فرط الضنك فيّ وفي نظراتي وعبراتي وقسماتي والحسرة قليلة وجبالٌ من الآه تحتل كبدي، أسائلُ روحي هل إلى نجاة من سبيل؟
من بين طيّات الأمل الأليم تتسلل إلى روحي وجوه لا أجد فيها إلا الاتهام وكأني أنا من شعلت أوار فتنة في بلدي وكأني أنا من تعمدت الهجرة إلى جناتهم – وما أقسى كلمة لاجئ – آه لو يعلمون أن بلدي تُساوي كل حدائقهم وقصورهم، لو يعلمون أن خيمة في الوطن تساوي كل أنعامهم، لكنهم جَهلوا أن وطني أضحى مسرحا للقتال من أجل القتال ولا شيء سواه فيه ماتت الذكريات الحلوة – كل الذكريات – وأضحى الوطن غصّة تدمي العيون سجاماً.

****

20

- خلجات

قالت لي السمراء: أغبياء الرجال الذين يطمعون في أجساد النساء

ثم أخبرتني متيمة تشكو إليّ مما تشكو: أوَ يترنم بدمعي؟ أيحلو له نحيبي؟ ألسنا أصحاب العلاقة الأزلية؟ أنى له الصمود أمام الذي يغزوني؟ ما باله يختال بمشيته وكأنه حققت انتصارا!!!! لكن ليذكر أن الانثى التي حطمها هي أمه قبل أن أكون أنا، ما بي ضعف ولكن ندم يشتت ذاتي.

وقال لي فؤاد: لئلا تتوه تعابيري في بحور علمها لذت بذاتي وحروفي تتخذني ستارا، حين يجيء النور العظيم تتوجس النجوم خيفة، وهل بالصمت يشفى العليل ، ما فائدة كتاب لجائع ، ما جدوى الحكمة لمن هو في النزع الاخير من يداوي السقيم من راق...من راق...جروح فُتقت كتب لها الخلود وجسد كتب عليه العيش بصحبة الألم فما الحل...... قال لي نفس:

ذاك الصّمت بيننا، رسول سلام لا يخطأ لا يتشتّت لا يخون إنّه موت دافئ كأحادي الكربون، برد قارس لا لون له و لا رائحة يجعل الصّقيع يغادر العظم ليحتل هو عمق النّخاع...

أقول : حروفكم ما هي سوى قلوب تخفق، تهرق دمائي من حولي فتنفجر غدران الأسى بقربي، ودمعٌ يراود النفس فألجمه بقوة الواثق بربه أن بعد الضيق فرج، ما أحلى العذاب حين يصحبه صدق يقين بالله.

****

فهرس النصوص

م	العنوان	ص
1	أنا وقلبي	5
2	أبناء الشمس	5
3	أيام وثيرة	6
4	حديث الروح	6
5	رمضان	6
6	فَقَدْ	7
7	ضال	7
8	فؤادي	8
9	الليل	8
10	قوة حب	9
11	نجوى	10
12	روح العيد	10
13	هيا بنا ننتحر	11
14	وجد	12
15	وحيدة	12
16	بوح	13
17	إمعان	13
18	دعوة	13
19	شروق الغروب	14
20	خلجات	14

حقوق النسخ والنشر محفوظة لدى دار حفد للنشر الإلكتروني اللاورقي

دار حفد للنشر الإلكتروني اللاورقي

***

حفد،، حيث تستمتع مستلذاً بذاتك الأدبية !.

نبذة

من فجر الحب الذي انضويا تحت لواءه وهي آيةٌ في العطاء حتى فاقت عشتار القدامى وكان عطائها كامل بدون نقصان فما ملّت تجود بأعذب الكلمات وأرقها ويسبق حُسن لفظها سخاءها، وهو اعتراه الحرمان قبل التعرف إليها لكنه حين عرفها غرف من منهلها دون ارتواء ورويّة.

خالد حميدة

دار حفد للنشر الإلكتروني اللاورقي

النسخة الإلكترونية الأولى

2017